وحدتهما الحالة النفسية فتوحدت القصيدتان وزنا وقافية

قصيدتا الرثاء العربي لعبد يغوث ومالك بن الريب

- من أعمق مراثي العرب وأكثرها ندرة في رثاء النفس والأهل والوطن
- قصيدتان باحتا بأسرار النفس البشرية
- صاح عبد يغوث : يا بني تيم اقتلوني قتلة كريمة !

اجمع العارفون على ان شعراء الجاهلية ادركوا المقام العالي بين الشعراء العرب في فن الرثاء لما يتميزوا به من متانة التركيب و صراحة الأساليب وإخراج المعاني الكثيرة بالالفاظ اليسيرة وقد جرى نساؤهم في ميدانهم ولا تراهنّ في الرثاء انزل طبقة من ائمتهم ، لا بل تجدهن يستنبطن في هذا ا لباب أساليب بديعة لم يتنبه لها الفحول لما طبعن عليه من رقة الطباع وشدة الجزع في المصائب وصد الحس فيبرزن عواطفهن بشعر سلس وكلام لين قريب المأخذ يكاد يسيل رقة وانسجاما ، لكن ونقول لكن لان الرثاء فن عرفه العرب من الاحياء للأموات ولم يعرف عنهم ان احدا قد رثى نفسه الا ماكان من الشاعرين مالك بن الريب والجاهلي عبد يغوث بن الحارث اليماني حيث رثيا نفسيهما قبل اي احد وذهبت قصيدتاهما مذهب الرواية والحكاية وتداولتهما اجيال العرب ولنبدا مع قصيدة عبد يغوث وظروفها العسكرية والاجتماعية.

مرثية قتيل يوم الكلاب الثاني

اما الشاعر الجاهلي فهو عبد يغوث بن الحارث واسمه كاملا عبد يغوث بن صلاة من بني الحارث بن كعب بن الأرتّ بن ربيعة الحارث بن بن كعب بن الحارث بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وهو من الشعراء المقلين وممن اشتهر بالفروسية والجمال والكرم والشجاعة والسيادة في قومه ،ويعد هذا الفارس اعظم الملوك الذين حكموا نجران وليس ذلك فحسب وإنما من أعظم ملوك الجزيرة العربية ، لقب عبد يغوث بالعديد من الألقاب الشهيرة من أعظمها شيخ العرب .

وفي قصة مقتل عبد يغوث ان قبائل من اليمن جهزت جيشاً عظيما « في يوم الكلاب الثاني » ضد بني تميم ، لدرجة ان الإخباريين قالوا بانه أعظم جيش عرفته العرب حيث كان عدده إثني عشر الف مقاتل ، وقد كان مكونا من قبيلة مذحج وقبيلة كندة «وهي قبيلة الملك حجر والد الشاعر إمرؤ القيس» وقبيلة همدان،وكان يقود الجيش عبد يغوث بن الحارث على الرغم من وجود ملك كندة وملك همدان.

والتقى الجيشان وبدات المعركة وكانت الغلبة في بداية الامر لمذحج وحلفاؤها ، فقد سقطت العديد من جماجم بني تميم تحت سيوف ورماح مذحج وحلفاؤها ، وكان عبد يغوث ينادي لمبارزة النعمان بن جساس الذي كان يقود تميم ، إلا انهم أعلنوا مقتله في تلك المعركة على احد فرسان مذحج وربما اصيب بسهم أو رمح ، وقيل أن النعمان بن جساس اصيب بحربة من احد فرسان جيش عبد يغوث ، وهو يقول خُذها وانا ابنُ الحنظلية .. فخر النعمان صريعا !

وبعد إعلان مقتل قائد تميم تحولت موازين المعركة ، فبعد سيطرة أهل نجران وحلفائها على المعركة و إعلان مقتل قائد تميم زاد غضب بني تميم ، وتحولت المعركة لصالحهم وصاح قيس بن عاصم المنقري من تميم « يا قوم لا تقتلوا إلا فارسا واحدا فإن الرجالة لكم » ويريد من قوله «عبد يغوث» وواجه عبد يغوث رجل اهوج «مجنون» من تميم وطلب منه مبارزته ولكن عبد يغوث تجاهله فإذا برمح من الاهوج ، يطيح بفرس عبد يغوث قائد مذحج وحلفائها ،وتم اسره في تلك المعركة بعد رجحان كفة المعركة لتميم وهروب جيش اليمن تاركا قائده بيد التميميين، الذين عمدوا لإهانته ، وبقي في الأسر انتظارا لقتله وهو مربوط اللسان كونه شاعرا فحلا وخافت تميم من أن يهجوها بشعره ، فطلب منهم ام يفكوا لسانه ليقول قصيدة ووعدهم بان لا يهجوهم ، وفكوا لسانه ، وجعل ياخذ الاسارى ، فإذا أخذ أسيرا قال له : ممن انت؟ فيقول: انا من بني زعبل وهو زعبل بن كعب اخو الحارث بن كعب وهم انذال ، فكان الأسارى يريدون بذلك رخص الفداء، فجعل قيس إذا اخذ أسيرا منهم دفعه إلى من يليه من بني تميم ويقول: امسك حتى اصطاد زعبلة أخرى ، فذهبت مثلا ، فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث ، اسره فتى من بني عُمير بن عبد شمس ، وقتل يومئذ علقمة بن سباح القريعي ، وهو فارس هبود ، وهبود فرس عمرو بن الجعيد المرادي ، وأسر الأهتمَ – واسمه سنان بن سُمي بن خالد بن مُنقر ، وبيومئذ سُمي الأهتم – رئيس كندة البراء بن قيس ، وقتلت التيم الأبير الحارثي وآخر من بني الحارث يقال له مُعاوية ، قتلهما النُعمان بن جساس قبل أن يُقتل ، وقتل يومئذ من أشرافهم خمسة ، وقتلت بنو ضبة ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبي.

وأما عبد يغوث فانطلق به العبشمي إلى أهله ، وكان العبشمي أهوج ، فقالت له امه ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً : من أنت؟

قال : أنا سيد القوم. فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الاهوج فقال عبد يغوث:

وتضحكُ مني شيخةٌ عبشميةٌ
كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

ثم قال لها : أيتها الحرة هل لك إلى خير ؟
قالت : وما ذاك ؟
قال : أعطي ابنك مائة من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم فإني أتخوف أن تنزعني سعد والرباب منه ، فضمن لها مائة من الإبل وأرسل إلى بني الحارث فوجهوا بها إليه فقبضها العبشمي، وانطلق به إلى الأهتم وانشأ عبد يغوث يقول:

أهــتــمُ يــا خــيــر الــبــريــة والــدا
ورهطا إذا ما الناس عدوا المساعيا
تــدارك أســيــراً عــانــيــاً فــي بــلادكــم
ولا تُثقفني التيم ألق الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد قُتل فارسنا ولم يُقتل لكم فارس مذكور فدفعه الاهتم إليهم فاخذه عصمة بن أبير التيمي فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بني تيم اقتلوني قتلة كريمة !
فقال له عصمة : وما تلك القتلة ؟
قال : اسقوني الخمر ودعوني انح على نفسي !
فقال له عصمة : نعم ، فسقاه الخمر ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل وتركه ينزف ، ومضى عنه عصمة وترك معه ابنين له فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصطلمنا فكيف رأيت الله فعل بك؟
فقال عبد يغوث في ذلك :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا
فما لكُما في اللوم نفعٌ ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعُها
قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكبا إما عرضت فبلغن
نداماي من نجران أن لا تلاقيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة
صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتني من الخيل نهدة
ترى خلفها الحر الجياد تواليا
ولكنني أحمي ذمار أبيكم
وكان الرماح يختطفن المحاميا
وتضحك مني شيخة عبشمية
كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا
وقد علمت عرسي مليكة أنني
أنا الليث معدوا عليه وعاديا
أقول وقد شدوا لساني بنعسة
أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا

عبدالناصر الأسلمي

.. والرياح تتربص !

بـ الأمس – ذاك الأمس القريب جدا – كانت لهجة الإحترام سياديَ الحال تتخذ لها من أول الصباح ؛ أجمله ، رافعة سبابة تأنيبها في وجه كل نوايا مرور اليوم كريما ،دون رفقة ، كانت قد قررت فيهم لحظة الخذلان ، حقيقة مدويّة « ؛ غير مأسوف علينا » ! فيحدث أن يضعنا « لئام » ممن تضاءلت بهم مساحة ما يحتاجونك له ، يضعونك في زاوية ، أعدل التواضع فيها أن توصف بـ الحادة ، تلك «الزاوية الشعور» التي تظل تحصرك ما بين أمنية بـ صواب اختيارك لهم ، أو اختيارهم لك .. سيّان ! و حقيقة خيبة هذا الاختيار .. ونتائجه ماثلة ، وشعوره مكرّس ، تلك التي تظل تطبق عليك فكما من « قد قصّرت » و آخر من « قد أذنبت » و .. و .. و لا ينقذك من بينها كف حبٍ قد قال كلمته و تبعته الأفعال بـ الإثبات يوما ويوما ويوما .. ! تلك الزاوية التي قد يقنع بها شجن روحك رغم أنها الأكثر بشاعة من موت ! فقط لأنه عمي عن ميزان الحياة العدل والقسط ، فكانوا " الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون " .. الآية ذاك الذي يقسم لك من كل إحساس ، حس يكسب به و شبيهه حسٌ يجعلك تخسر ! لتعظم في عيني شجنك ذاتها ، هيبة الـ آهـ . لأنه الخيار الآخر ، يرتفع صوته بـ آهـ الصمت / أعمق أنيننا . اليوم ، و من مبدأ حقيقة ماض في العقل حكمها كـ القناعه : «ما أتعسك أيها الإنسان حين تؤمن أنك الصالح ولا سواك » أرى أن نحتكم نحن العقلاء الأحياء و إن كنا لا نمتلك كل الحقيقه ..

أرى أن نحتكم إلى الميزان ، لـ يعظم أحد الـ لا محترمين في عين الأماني و يزداد صغرا في عين الواقع ' ذاك الآخر ' دون أن نحدد الأدوار ، من منّا [الأحد ، و ذاك الآخر] فـ تكون صفحة

اللقاء مع القلب ، ليكون القلب من القلب أبيضا ، و لا يملك علينا العقل من أمره حجة !]

عفوا ، عفوا ، أقصد : هكذا ترى الحياة ، و كل ذمة تأبى أن تخلف من وراء ودّها ، يمينا عقيما ، و إن كانت يساره ، لأنها النفوس ، أشرعة مراكب التبرير ، وصفحة الأحداث نيل ، و الرياح تتربص ، والملاحون كي لايفقدوا ساديتهم ، بدأوا يحتضنون ظهور المراكب ! فلا أرم ولا [عمادا] ولا دينا يردع [دينًا] ولا خلاقا يزجر [أديبا] !

الكفة النصيحة :
لا بأس بـ قليل من الذكاء / الوهم
نصنع منه جسورا من التداوي و إن كانت هي الإختراع الكذبة
تلك الكذبة الملحّة التي ظل يرويها جدي كـ حكمه :
[لولا الكذب ما عاش أحد] !

الكفة الأكثر نصحا :
يصنع ظاهرها و الباطن كل واحد منّا ، كما تشاء فيه نيّة الخلق السليم .

نافع التيمان